الغزو الفكري
بوسيلة التربية والتعليم

المدرس الدكتور
حسنين جابر الحلو
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

الغزو الفكري بوسيلة التربية والتعليم

المدرس الدكتور
حسنين جابر الحلو
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

إن التوجه الذي سارت عليه القوى الكبرى وبقيادتها المختلفة لتوحيد حركاتها باتجاه دفع الحيف عن الانسان والانفتاح على الحضارة الانسانية بمفهومها الجديد كما تدعى وذلك على اساس انها افراز تلقائي للتحولات التقنية العائلية في التواصل بين اسس التعلم وبين المجتمعات البشرية المختلفة لتشكل بذلك مرحلة جديدة من التلاحم الثقافي والتفاهم الاجتماعي بابعاده الحقيقية حتى تقلل من العبء الذي يقع على الإنسان وطموحاته - هذا ما تقوله القوى الكبرى وتدعيه قيادتها ووسائل اعلامها ونحن لا يمكن ان نسلم بكل المفاهيم الموجودة من سائر العلوم التي رأت تجاب الغرب، وتوصلت الى حلول ومواضيع ترتبط به، وهنا عندما يتوصلون الى نظر بين معينة في علم معين لمفكرين مختلفين في قناعاتهم وطروحاتهم فليس معنى ذلك ان نجعلها نظرية نسلم لها، لانها نظريات لا تحمل اليقين العلمي مئة بالمئة.

وسبل الانسان في التعلم يكون من خلال الثقافة في مفهومها الشمولي لانها تتصل اتصالا وثيقا ومباشرا بحياة الانسان.

إن الهيمة الثقافية كانت تجري في نسق حضاري واحد حتى تحافظ على لوازم السيادة لتحقيق الافكار التي جاءت من اجلها الدول العظمى.

لذا نجد ان الاسلام يحترم خصوصيا العلم وجميع النواحي الثقافية الشريفة، فنحن نلاحظ ان انتشار الاسلام في بقاع كثير من العالم لكنه لم

تستطع التأثير بدرجة كبيرة على المقومات الثقافية لأي مجتمع من المجتمعات لان العلم هو علم التوعية والتربية لأنه بواقعيتها تقوم بنوعيات وتربيات أي انسان يريد ان يصل الى الحقيقة بكل وضوح.

فالإنسان يقود المرحلة بعقلية باعتبارها طريق للاعتقاد السليم، فهنا يكمن الغزو عندما يرفض عقل الانسان البراهين والادلة وسد الطريق امام الحوار والنقاش الموضوعي حيث يجب ان تتولد هناك قناعات في موضوع البراهين التي تطرح وبناء مواقفه على قواعد منهجية فبدا الغزو من تغيير الفكرة والذهن بكل الوسائل التربوية والإعلامية، فسعى الاستعمار بجعل جامعته ومعاده مصدر لانطلاقة فكرية وكذلك نشر لغة المستعمر واتباع سننه في نظم الحياة لتقريب التعلم من كبرى المنارات. ونحن هنا بصدد العمل من اجل ايقاف هذا الغزو والذي جاءنا تحت مسميات علمية وثقافية اخرى والحيلولة دونه وهذا لا يكون الا من خلال تقوية الشخصية العلمية الاسلامية وتحصين مفكريها حتى تنهض بعبء الواجبات وتتحمل مشاق الحياة من اجل الوصول الى مرحلة البناء الفكري السليم بحيث لا تستطيع اية قوة في العالم في أي زمان ومكان أن تؤثر على ثقافتنا ومعتقداتنا ولا ننسى بأننا نحن اصحاب العلوم التي تفتح في كل لحظة كتاب الكون فتنكشف لنا اشياء جديدة وليس نحن باصحاب العلوم التي تكون وراءها اجهزة الاعلام والتي بدورها تساعد على تحويل المجتمعات الى مجتمعات ساعية وراء الجديد كما هو الحال في الدول الغربية ومالها من قدرات مالية كبرى ولذلك يجب ان نواه هذا الغزو الفكري بما جاءت به عقيدتنا السماوية بمجموع التجربة الانسانية ومبدأ اسلامي نسير عليه وبخطى واضحة، فالحضارة الغربية وجهت جل همها بإجراءات وتغييرات عديدة في ثقافة الشرق سلوكا وعلما.

ولهذا يحاول الغرب التقليل من اهمية معتقداتنا والتقليل من فعالية

(الشرق) في سعي محموم الى انشاء مجتمع يسيس وفق ارادتهم وسلوكهم العلمي والتربوي ونلاحظ ان توجهات الغرب بكل الوسائل والطرق ومنها المنتجات تكون مؤثرة في عالمنا لانها تمس واقعنا وتكون في صميم الحدث كما وان كتبهم ووسائل اعلامهم تؤثر بتوجهات الكثير من افراد الشعوب العربية الاسلامية او اصدار برامج تمس صميم المشاهد من حيث التأثير في التربية والسلوك اليومي والذي له مردود سلبي على الواقع المعاش لذلك يجب ان نصرف النظر عن هكذا توجهات مسمومة غربية او علمانية يراد منا حرفنا عن منهجنا الصحيح والسليم والمهني على المنهج السماوي الذي رسمه لنا الله تعالى الذي هو اعلم واعرف بمصلحة الانسان ومتطلباته الاجتماعية والسياسية والعلمية وغيرها من الامور الاخرى.

لا شك أن الفكر مظهر من مظاهر الوجود المدهشة، ومن اسرار عالم الخقلة المعظيمة، إذ ما برح السؤال عن ماهية من ابرز الاسئلة واغناها وادعاها إلى الجدل. لأنه ينسب ظهور الفكر إلى تطور الملكات العقلية بما يفاق بالضرورة إلى تكوين مستقبلية في الحياة الفعلية.

يعتبر التوجه نحو المستقبل ضمن اطار تخطيط فكري سليم وعلى المستوى الحضاري الجديد من أهم أدوات الثقافة. وفي تحقيق الهدف المرجو للتخلص من العجز في موازين الماضي الذي اثر على الكثير من افراد المجتمع في كيفية توجهاتهم ومدى تحملهم بعض الضغوطات جراء الالتزامات التي وقعوا تحت وطأتها، ونجد أن هذه العلاقة مع التاريخ تزرع عند اجيالنا الجديدة أحساسا بثبات الزمان أو تداخل الازمنة الثقافية على الاقل وتجمد تفكيرنا في زمان ثقافي عديم الاربعاد الحدود، وكما يقول محمد جواد رضا في كتابه (أزمات الحقيقية والحرية في التربية العربية المعاصرة)، (نحن نزكي الحاضر آو نفده بشواهد من الماضي ونحن نغرز الماضي بزعم اتفاقه مع منطق الزمن الحديث

وعندما نتحدث عن المستقبل لانعدم شواهد على أن قدماؤنا عرفوا علم المستقبلية (Futurism) وهكذا تمحى عندنا حدود الزمان فلا نعرف اين نقع من حركة التاريخ؟ في القرن العشرين آو القرن العاشر).

فالتفكير الصحيح هو الذي يقود من ماضي ملؤه الحرية والتفاهة وعلى سبيل المثال فان (لوك) من القائلين بأن حرية الفرد امر طبيعي تجب المحافظة عليه. وباعتبار أن الاعتقاد بـ(أولية الفرد آو الفردية) محور تدور حوله آراء مختلفة، الا أننا يجب أن نحافظ عليها وان لا تكون سلطة فوق سلطة الحرية وكما يقول لوك - والأرض ذلك للإنسان لتكون له مقاما وليستمتع بما فيها من خيرات وثمرات. وليس لإنسان أن يملك الحكومة على باسم حق (اصيل فيه) ومفارق للطبيعة البشرية وهنا تتأتى حقيقة الحرية الثقافية والتي يجب أن تجد لها زمن ثقافي بحيث،- (أن الزمن الثقافي العربي لم يتم تثبيته ولا تعريفه ولا تحديده، صحيح أننا نفصل بين(١) العصر الجاهلي و(٢) العصر الإسلامي(٣) عصر النهضة، ولكن هذا الفصل سطحي تماما فنحن لا نعيشه في وعينا ولا في تصورنا كمراحل من التطور الغي اللاحق منها السابق، ولا كأزمنة ثقافية تتميز عن بعضها بميزات خاصة تجعلها متصلة آو منفصلة بل العكس، انا ننظر إلى هذه العصور كجزر منفصلة كل منها معزولة عن الأخرى، والنتيجة هي حضور هذه الجزر الثلاث في الوعي العربي الراهن متزامنا.. نقصد بذلك بأن الواحد منا عندما ينتقل بوعيه من العصر الجاهلي إلى العصر الاسلامي إلى عصر النهضة لا يشعر انه ينتقل من زمن إلى زمن بل لربما يحس فقط انه يقفز من مكان إلى آخر.

رغم هذه التحفظات النظرية فتأييد اصل الديمقراطية المتبنى من قبل المصلحين، واقتراح الحرية والمساواة اللتين تدافع الطبقة المجديدة عنهما بشدة وصلابة وهنا يعتقد (روسو) بأن - (من حيث نظرنا إلى اساس العقد

الاجتماعي. نصل إلى نتيجة واحدة هي أن العقد المذكور يحقق مساواة بين الناس تجعلهم يتعهدون القيام بواجبات معينة. ويحصلون على حقوق متشابهة).

والحق أن التطورات التي شهدها هذا القرن كانت جدا متسارعة في المجال الفكري شأنها في ذلك شأن ما كان في مجال العلم والتكنلوجيا، وانه لمن المستحيل في ظل حضارة نابضة بالحياة، ظهور نمط من الفكر والمجتمع لا يساير الأسس الحضارية والطبيعية والمدنية لتلك الحضارة ومن المستحيل تدخل عليها تحولات جوهرية لأن أي تحول جوهري يعني تحول هذه الحضارة لمصلحة حضارة اخرى.

وبما أن التربية علم موضوعه الانسان وهو المفكر في هذا المستقبل من الحاضر في سلسلة مخاضات لا تتوقف؟.

فلقد رأى البعض أن الرؤية للمستقبل تجليا من تجليات الوهم وهم بكل تأكيد واهمين لأن المستقبل و أمر اقع لا محال ذو جذور في التاريخ، وهو متسع باضطراد، نشأ في سياق ويتحرك في سياق، وإن رفض الحضارة لرؤى المستقبل لا يغير من واقع وجوده وقيامه ولا يجد أن من نفوذ الماضي وتأثيره في مجتمعنا وحياتنا، وها نحن الآن عشنا ماضيا ونطمح بمستقبل لا يقوده الاضطراب الفكري مقودون إلى التسليم بأننا أن نجحنا في تشخيص ما نحن عيه نكون قد حققنا نفعا كثيرا واصبنا بذلك مغنما وتقدمنا خطوات في اتجاه النضج الفكري.

ويبدو أن احدى المشكلات الفكرية الكبيرة التي يشكو منها مجتمع كمجتمعنا هي افتقاد الفهم الصحيح والادراك الدقيق لمبادئ الفكر الناضج، وهذه المشكلة بذاتها من نتائج غفلتنا التاريخية لذا فأن القاء اللائمة على الاجيال الماضية ليس حلا للمشكلة، بل الاعتبار بنهجهم وطريقتهم هو وحده الذي يمكن أن يؤتي ثماراً.

لا يخفى على كل ذي بصيرى ان مجتمعاتنا اليوم هي في أمس الحاجة الى من يصحح مسارها وبكل أحواله، لأنه عانى في فترات مختلفة ما عاناه أثر بعض الافكار التي انهالت عليه بين الحين والآخر، وهذا ما أكدت عليه الظروف التي عاشها افراد هذا المجتمع وما كانوا فيه من حياة قد لا يطلق على أفضلها هذه الكلمة، وهنا ومن الواجب على افراد مجتمعنا ان يصبروا على كل ما يمر بهم من حيثيات الأمور، وان يتذكره أما أسس الفكر الإسلامي من واقع حقيقي ومعاش من قبل المسلمين، فإذا أراد المرء ان يتخلص من براثن البلاء والويلات فعليه ان يتخذ الفر الاسلامي كقاعدة يبني عليها أفكاره وتوجهاته الحقيقية آلت أمر بها الشارع القدس، لأنه بهذا الفكر سيوجد حياة حرة خالية من كل انواع الضغينة والعدائية وفيها مبدأ الأخوة والمودة، فالهجمات التي تعرض لها مجتمعنا في جل أيام حياته هي هي أيام يراد لها من نظرة اصلاحية لان المجتمع تأثر بها بصورة أو بأخرى، فالعولمة الغربية فتحت الباب على مصراعيه لادخال كل فكر ما من شأنه ان يكون مضاد لفكر الاسلامي حتى يحصدوا بذلك اكثر عددا ممكنا من الانفس الضعيفة التي اراد لها الفكر الغربي ان تكون هكذا، بينما كان الفكر الاسلامي وبرجالاته المختلفة الثقافات الدينية والاجتماعية والسياسية، حازوا على ثقة الامة الاسلامية بهم لانهم استطاعوا ان يوجدوا الحلول الاصلاحية لكثير من مساوئ الامة، من حيث افكارها ومسمياتها واحوالها، فأي اتجاه لا يختط لنفسه مسار الفكر الاسلامي فهو اتجاه باطل وليس له أي معنى وان كان مرغوب من الكثيرين في الغرب، ولكن مواجهاتهم له ستكون هي الاقوى لانهم اصطدموا بجدار متين الا وهو جدار الاسلام المحصن بالقرآن الكريم والمدعم بالحق، فالاصلاح الذي يحتاجه افرادنا هذا اليوم ليس دينيا فحسب بل هي اصلاحات اجتماعية وسياسية وفكرية حتى يكون في الواجهة لان مبدأه هو واجهة المجتمع الاسلامي.